

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بعنوان

قراءة جديدة في دروس تحويل القبلة

وكيف نوظف عطاوات الله فيها لمواجهة التحديات المعاصرة؟

بقلم المفكر الإسلامي

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١٥ شعبان ١٤٤٦هـ / ١٤ فبراير ٢٠٢٥م

الحمد لله الذي جعل لنا الإسلام نوراً وهدياً، وأكرمنا بشريعة سمحة مستمدة من وحي الله (عز وجل)، نحمده سبحانه ونشكره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ومهوى لأفئدة المؤمنين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جلّ عن الشبيه والمثيل والند والكفاء والنظير.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله به رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين.

بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله تعالى به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. فهدى الله تعالى به من الضلالة، وبصر به من الجهالة، وكثر به بعد القلة.

فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين وأصحابه الغر الميامين، ما ذكره الذاكرون الأبرار، وما تعاقب الليل والنهار.

عباد الله: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ**

تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) ..

أما بعد..

التوبة والدعاء والتعلق بحبال الله والأخذ بالأسباب.. طريقنا لمواجهة التحديات

أيها المسلمون في كل مكان: نعيش اليوم في ظروف عالمية غامضة، نواجه تحديات عظيمة، تريد أن تعصف بالمنطقة، وليس لنا ملجأ إلا الله... فعليه وحده الاتكال، وإليه وحده المفر. وفي هذه الظروف علينا أن نلجأ إلى الله (جل وعلا) لجوءاً صادقاً أن نعود إليه عوداً صادقاً أن نتوب إليه توبة صادقة أن ندعوه ونرجوه دعاء صادقاً فلا مفر إلا إليه ولا سند إلا منه ولا عون ولا مدد ولا قوة إلى منه فلندجأ إليه جميعاً بقلوب صادقة، ولنعد إليه عودةً نصوحاً، ولنتب إليه توبةً خالصة، ولنرفع أكف الضراعة إليه بصدق وإخلاص، فإنه "لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه". اللهم قونا بك، وثبتنا على طاعتك، وردنا إليك رداً جميلاً ظاهراً وباطناً يا رب العالمين. اللهم من أراد بمصرنا أو بلادنا شراً، فاشغله بنفسه، وأشغله بأهله وبلده، وأدر دائرة السوء عليه، يا قوي يا متين. اللهم اجمع شمل الأمة، وأعنا على مواجهة الفتن، ومكائد الأعداء، واجعلنا من عبادك الصادقين، يا جبار السماوات والأرض.

أيها الموحدون:

رددوا معي بخشوع وخضوع وذلة وانكسار لله رب العالمين... تُبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا، وعزمنا عزمًا أكيداً صادقاً على ألا نعود إلى المعاصي أبداً، وبرئنا من كل دين يخالف دين الإسلام، طرقتنا بابك يا الله وقد علمنا أنك لا ترد من جاءك، ولا تخيب من رفع يديه إليك، فاجبر كسرنا، واحفظ جيشنا وأمننا وشعبنا، ووقف قادتنا لكل خير، واربط على قلوبهم يا رب العالمين... اللهم ادحر من أراد بنا شراً، اللهم اجعل كيدهم في نحورهم، واجعل تدبيرهم في تدميرهم... يا قادر يا قادر يا قادر... اللهم اجمع شمل الأمة على طاعتك والقرب منك ومرضاتك يا رب العالمين. اللهم ادفع عنا كيد الكائدين، ورد عنا شر الحاقدين، ولا تجعل لهم علينا سبيلاً، يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

تحويل القبلة

عباد الله:

حديثنا اليوم عن ذكرى عظيمة، اختبر الله (سبحانه وتعالى) بها إيمان عباده، وامتنحن بها صدق قلوبهم، إنها حادثة تحويل القبلة، ذلكم التحول العظيم الذي نقل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام، تنفيذاً لأمر الله، وإعلاءً لشأن هذه الأمة التي اصطفاها الله لتكون خير الأمم وشاهدة على الآخر.

- إن تحويل القبلة لم يكن مجرد تغيير في الاتجاه.
- بل كان درساً بليغاً في الطاعة والامتثال.
- وابتلاءً أظهر المؤمنين الصادق من المنافق الكاذب.

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۗ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۗ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ۖ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ . قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (البقرة: ١٤٢-١٤٤) .

مكانة القبلة في الإسلام:

القبلة في الإسلام لها مكانة سامية وسامقة ورفيعة، فهي ليست اتجاهها جغرافيا نتجه إليه، بل لها رمزية كبيرة جدا، تنضح فيما يلي:

١. أهمية القبلة في تنظيم العبادة

فالقبلة توحد اتجاه المسلمين في الصلاة، وتجنب الفوضى والاختلاف في تحديد الجهات، وتحافظ على وحدة المسلمين وشعائرهم.

٢. وجوب استقبالها في الصلاة

جعلها الشرع الشريف شرطاً لصحة الصلاة، فلا تصح الصلاة بدون التوجه إليها.

٣. استحباب استقبالها في الدعاء

من آداب الدعاء التوجه نحو القبلة.

٤. تحريم استقبالها أو استدبارها عند قضاء الحاجة، والنهي عن البصاق في اتجاهها

وذلك تعظيماً لقدسيتها ومكانتها، فعن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِبُوا) (٢).

٥. استقبالها في الموت كما في الحياة

تؤدي صلاة الجنزة باتجاهها، ويُدفن الميت مستقبلاً إياها.

الفرز والانتقاء والغربة والتنخيل (٣)؟

أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يُنقى صفوف المسلمين من الغث ومن المنافقين، فحدثت غزبتان أساسيتان في عهد النبي (ﷺ). واحدة في مكة، وأخرى في المدينة.

الغربة الأولى: حدثت في مكة، وكانت بعد رحلة الإسراء والمعراج، فبعد هذه المعجزة الفريدة التي رأى

النبي (ﷺ) فيها من آيات ربه الكبرى، وأخبر المسلمين بذلك. فكانت اختباراً حاسماً لصدق الإيمان، وشاء الله

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٣) الفرز والانتقاء والغربة والتنخيل في الأمم السابقة:

يقول الحق تبارك وتعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلَكٌ لَقَدْ جَاءَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا ۖ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ۚ قَالُوا أَيْ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۗ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَّن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (البقرة: ٢٤٦-٢٥١)، وهكذا حدث لهم أكثر من اختبار للفرز والتنخيل، (فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

أن يكشف للنبي (ﷺ) حقيقة القلوب، فيميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب. فجاءت هذه الغربة لتنقية الصفوف، في وقت كان النبي (ﷺ) يستعد فيه للهجرة إلى المدينة المنورة، إذ لا يصلح لهذه الهجرة العظيمة بكل ما فيها من توضيحات إلا رجال ذوو قوة، وبأس شديد، وإيمانٍ راسخ، يضحون بكل شيء في سبيل هذا الدين العظيم.

فاقتضت حكمة الله أن تتم هذه التصفية، ويقع الفرز والانتقاء والغربة والتنخيل والتجنيب في هذا المنعطف المصيري من تاريخ الإسلام.

فبعد هذه الرحلة كشف الله (تعالى) المنافقين الذين ارتدوا على أعقابهم... وكانوا قلة قليلة؛ ولكنها قلة مؤسفة!.. نعم قلة مؤسفة من الذين لم يؤمنوا على وجه الحقيقة بقدرة الله تعالى وقوته وعظمته، ولم يستوعبوا حقيقة المعجزة التي سجلها القرآن العظيم بجلاء في سورتي: الإسراء والنجم، وفصلت السنة الشريفة أحداثها، وأجمعت الأمة على التصديق بها، وتعدت بما أوحى الله (سبحانه وتعالى) فيها لنبيه الكريم، وشرعه على المسلمين وهو الركن الأعظم من أركان الإسلام (الصلاة) التي فرضها الله مباشرة في السماء؛ لعلو مكانتها وسموق قدرها. كما جاءت هذه المعجزة لتكرم المؤمنين الصادقين، وترفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

جاءت هذه الغربة تهيئة للهجرة العظيمة، التي لم يكن لها أن تتم إلا برجالٍ باعوا أنفسهم لله، مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيل هذا الدين. فاقتضت حكمة الله أن يقع التمحيص في هذه اللحظة الحرجة، حيث لم يُقدم على الهجرة إلا الصادقون، بينما سقط المتخاذلون وانكشف المنافقون، حتى لا يكونوا عائقًا في طريق بناء الأمة.

والغربة الثانية: حدثت في المدينة المنورة بعد تحويل القبلة، في وقت مهم جدًا، إذ تنتقل فيه الدعوة من مرحلة إلى مرحلة..

من مرحلة الصبر وتحمل إيذاء (المشركين) في مكة، إلى مرحلة المواجهة الواضحة والصريحة مع (اليهود، والمشركين، والمنافقين) في المدينة... تمهيدا لبناء دولة الإسلام الفتية القوية التي تتطلب رجالا من عشاق المبادئ.

نعم كانت عملية اختبار واختيار، وفرز وغربة وتنخيل وتجنيب، تنقى صفوف المسلمين من المنافقين، وتفرق بين الصادق والكذوب، **لاسيما وأن المسلمين الأوائل هم البذور الأولى التي تحمل أنوار التوحيد ومشاعل الهداية، ودعوة الخير إلى العالمين؛** فكان لا بد من انتقائهم من أفضل العناصر، وإعدادهم إعدادا يليق بمكانة رسالة النور... رسالة الرحمة... ودعوة الحق إلى العالمين.

لقد كان هذا الحدث اختبارًا عمليًا، أظهر حقيقة القلوب، وفصل بين الصادق والكاذب. لذلك جاءت معركة بدر بعد تحويل القبلة واستقلال الشخصية المسلمة.

وتتجلى في معركة بدر قوة (٣١٤) رجل من المسلمين الصادقين المنتقين، الذين هزموا ثلاثة أضعاف أعدادهم من المشركين، بمدد الله وقدرته وعونه؛ ليثبتوا أن النصر لا يكون بكثرة العدد، بل إنه من الله، مع الأخذ بالأسباب وصدق الإيمان وقوة اليقين.

مراحل توجه المسلمين للقبلة

(كيف كانت البداية؟ وكيف كان التحول النهائي ولماذا؟):

اتجه المسلمون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثلاثة أعوام تقريبا، نصفها قبل الهجرة، ونصفها في المدينة

أولاً: ففي بداية الإسلام كان النبي (ﷺ) والمسلمون في مكة يصلون في الكعبة بين الركنين وهم يستقبلون بيت المقدس.

ثانياً: ولما هاجر النبي (ﷺ) والمسلمون إلى المدينة، تعذر الجمع بين الكعبة وبيت المقدس إذ المدينة في الوسط بينهما، فأمره الله (عز وجل) أن يُصلي متوجّهاً في قبلته إلى بيت المقدس، ففرح اليهود بذلك، وقالوا: إذا كان محمد قد صلى لقبلتنا فسيستعج ملتنا...

مع الأخذ في الاعتبار أن أمر الله لنبيه (ﷺ) والمسلمين بالتوجه نحو بيت المقدس لم يكن توددًا لليهود وأهل الكتاب كي يدخلوا في الإسلام كما يزعم الواهمون، كلا.. فالله تعالى لا ينفعه إسلام المسلم، ولا يضره كفر الكافر، ولو شاء الله لجعل الناس كلهم مسلمين.

ولكن كان ذلك لحكم كثيرة، منها:

- أن الاتجاه في القبلة يعود إلى إرادة الله (تعالى) وأمره وليس إلى إرادة أحد.
- اختبار إيمان المؤمنين وتمحيصهم.
- وأن ينزع الله من عقول العرب وقلوبهم أن الكعبة بيتهم يفعلون فيها ما يشاءون، بل هي بيت الله الذي سيكون قبلة للعالمين فيما بعد.
- وأن يدخل بيت المقدس في مقدسات المسلمين الغالية التي يلزمهم أن يحافظوا عليها ويدودوا عنها بأموالهم وأنفسهم، ويخرجوا منها عدو الله وعدوهم...

ثالثاً: لقد ظل الرسول (ﷺ) يصلي إلى هذه القبلة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وهو في غاية الشوق إلى الصلاة تجاه البيت الحرام الذي تربى في رحابه ونشأ حوله.. والله يعلم ما يدور في خلدته، وما يجيش في صدره.. وهو يقبل بصره في السماء رجاء تحويل القبلة إلى الكعبة، إلا أن أدبه مع الله منعه من الدعاء.

ويسجل الله هذه الإشارات الإيمانية، يقول تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ١٤٤).

صدر الأمر الإلهي بتحويل القبلة ودلالته

جاء الأمر الإلهي لنبيه بالتحويل في قبلته تجاه البيت الحرام، جبراً لخاطر النبي العظيم، حيث تافت إليها نفس النبي (ﷺ)، الذي كان يقبل وجهه في السماء منتظراً تحققها.

وجاء هذا التحويل بعد أن:

١. **اشتد حنين النبي (ﷺ) والمسلمين إلى مكة**، تلك البلدة التي وُلد فيها، ونزل عليه الوحي لأول مرة في رحابها، وفيها بيت الله الحرام.

٢. **تحققت الأهداف المنشودة من التوجه نحو بيت المقدس**، مع الأخذ بعين الاعتبار أن إمامة النبي للسادة الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى كانت إشارة وبشارة للنبي والمسلمين، وكانت إعلاناً للعالمين أن الإمامة والنبوة انتقلت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

٣. **ترسخ ارتباط المسلمين بالمسجد الأقصى المبارك** الذي باركه الله وبارك حوله، ذلك أن صلاة النبي والمسلمين تجاه بيت المقدس زادت من تعلقهم به.

كيف تحول المسلمون للقبلة؟

عندما صدر الأمر الإلهي لنبيه بالتحول في قبلته تجاه البيت الحرام، وكان أول صلاة صلاها الرسول (ﷺ) والمسلمون إلى الكعبة صلاة العصر. وصلى معه قوم، فخرج رجلٌ ممن كان قد صلى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله (ﷺ) تجاه مكة المكرمة. وهنا نلاحظ صدق المؤمنين، وكمال طاعتهم لله ولرسوله (ﷺ) وانقيادهم التام -دون جدال أو مرء- فداروا كما هم تجاه البيت الحرام وهم في صلاتهم، فسُمِّيَ هذا المسجد بمسجد القبليتين وهو مسجد بني سلمة الذي خلده التاريخ بهذا الحدث الجليل...

لماذا كان التوجه في القبلة إلى مكة المكرمة بالذات؟

مكة المكرمة لها مكانة كبيرة جدا، فهي:

- ١- أحب بلاد الله إلى الله (تعالى) وإلى سيدنا رسول الله (ﷺ).
 - ٢- جعلها الله مقرا للمسجد الحرام وهو أول مسجد وضع في الأرض (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٦). (قبلة الموحدين في كل مكان).
 - ٣- وهي البقعة التي سكنها أبو البشرية آدم وزوجه حواء ثم ماتا فيها.
 - ٤- مسقط رأس سيدنا رسول الله (ﷺ) ومحض طفولته، ومواطن ذكرياته، ومهد الدعوة، وأول مهبط الوحي، وبها زمزم وعرفات، ومنها الخلفاء الراشدون، والمسلمون الأولون.
 - ٥- مقصد الناس من كل مكان في الصلاة والحج.
- فاستحقت مكة بتلك الخصائص السابقة والحكم والأسباب السالفة أن تكون إليها القبلة دون غيرها.

ماذا حدث من المنافقين بعد تحويل القبلة؟

وبعد تحويل القبلة حصل لبعض السفهاء من الناس من أهل النفاق والريبة، زيغ، -وما أشبه الليلة بالبارحة- وقالوا كما حكى القرآن عنهم: (مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) (البقرة: ١٤٢)، أي ما لهؤلاء المسلمين تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا. فأنزل الله قوله: (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: ١٤٢).

من الحكم السامية والأسرار الكامنة من وراء هذا التحويل

- وحين نبحث عن "الحكم السامية والأسرار الكامنة" من وراء هذا التحويل سنجد ما يلي:
- أن الله أراد أن يجمع لنبيه محمد (ﷺ) بين قبلة أبيه إبراهيم وأخيه إسماعيل، وقبلة بني إسرائيل؛ للتدليل على أن الإسلام جاء مهيمنا على الرسالات السابقة عليه، إذ لو كانت قبلة النبي (ﷺ) إلى مكة ابتداء وانتهاء لقليل: إنه ورث قبلة جده إسماعيل، وإن رسالته خاصة بأهل الجزيرة دون سواهم.
 - قد فرضت الصلاة عندما كان المسلمون في مكة، فكانت قبلتهم إلى الأقصى؛ وفي هذا تمييز للمسلمين عن المشركين الذين كانوا يتوجهون إلى الكعبة.
 - وتحويل القبلة إلى الكعبة تم بعد استقرار المسلمين في المدينة؛ وفي هذا تمييز لهم عن يهود المدينة الذين كانوا يستقبلون بيت المقدس.

- كما كان التحويل مفاضلة أريد بها تحقيق نوع من الاستقلالية للمسلمين؛ ذلك أن لكل أمة قبلتها، فإذا كانت اليهود تستقبل بيت المقدس في صلاحتها، والمسيحيون يستقبلون المشرق، فإن المسلمين يستقبلون الكعبة.

- لقد شرف الله الأمة الإسلامية بالصلاة إلى القبلتين، وكرمهم بإرث المسجدين، فجمع لهم بين قبلة الفرع -يعقوب- وقبلة الأصل -إبراهيم-، وهذا شرف وتكريم لم تنله أمة سابقة، فقد صلى المسلمون إلى القبلتين وهم في مكة حيث كانوا يستقبلون القدس، والكعبة بينهم وبينها، فلما هاجروا إلى المدينة كانوا يستقبلون القدس فحسب، فلما حُولت القِبْلَةُ صاروا يستقبلون الكعبة، فاجتمع لهم بهذا حال الجمع والإفراد لكلتا القبلتين" (٤).

وهكذا فإن:

• الكعبة المشرفة قبلة المسلمين جميعاً، فهي قبلة أهل المسجد

• والمسجد الحرام قبلة أهل الحرم

• والحرم قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله -تعالى- الأرضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

قال تعالى (وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيٰهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ۗ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعًا ۗ إِنَّ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (البقرة: ١٤٨-١٥٠).

جزء المسلمين الذين ماتوا قبل تحويل القبلة؟

بعد تحويل القبلة إلى مكة المكرمة حزن المسلمون على إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحويل القبلة مخافة ألا تُتقبل أعمالهم.

وهنا تأتي البشارة من الله الرحيم، بقوله: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣).

أهم الدروس والعبر من تحويل القبلة

أولاً: من دروس تحويل القبلة أن الله تعالى أراد أن يدرينا على السمع والطاعة، ونبتعد عن الخلافات والمراء والقيل والقال.

ثانياً: كمال طاعة المؤمنين لله ولرسوله (ﷺ) وانقيادهم التام -دون جدال أو مراء- لأوامر الله -عز وجل- فداروا كما هم تجاه البيت الحرام وهم في صلاحاتهم.

ثالثاً: أن الأحداث الكبيرة دائماً ما تكشف أصحاب المعادن النفسية، وتكشف المنافقين الكاذبين.

رابعاً: كان تحويل القبلة إلى الكعبة تمهيداً لتحريرها، وكان تحريرها إعلاناً للزعامة الروحية والقيادة الفعلية للعرب، وكانت تلك الزعامة الحققة سبباً في لم شمل العرب وتوحيد صفوفهم؛ مما أسهم في نشر الإسلام ووصول نوره إلى العالمين .

خامساً: أن الله سبحانه وتعالى جعل أمتنا خير الأمم وجعلها وسطاً وجعلنا شهداء على الأمم.

سادساً: نتعلم من تحويل القبلة، الأدب مع الله، وجبر الخواطر، كما تفضل ربنا لنبيه وللمسلمين.

سابعاً: تحويل القبلة: درس في وحدة الصف الإسلامي، ودرس في الطاعة والاستجابة لله، ودرس في التخطيط والأخذ بالأسباب، ودرس في مواجهة التحديات بوحدة الهدف والغاية

ثامناً: التحذير من التبعية في كل شئ لمن ليسوا من دين الله على شئ، قال تعالى: (وَلَنْ أُنَیِّتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٤٥)

تاسعاً: تأكيد وحدة الرسالات وتواصل حقائق الوحي الإلهي قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦).

عاشراً: إعلان وراثة النبوات السابقة وانتقال القيادة الروحية من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَفَرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: ٨١).

حادى عشر: تأكيد الربط بين العاصمتين المقدستين مكة والقدس وإعلان مسؤولية المسلمين في حماية المقدسات .

ثانى عشر: تحديد المرجعية العليا في العقائد والأخلاق والقيم والتصورات.

ثالث عشر: إعلان بداية مرحلة الشهود الحضاري للأمة المسامة

وهكذا نحن في حاجة ماسة إلى تحديد الأولويات، فكما كانت القبلة قضية مركزية للمسلمين، يجب أن نحدد القضايا الكبرى التي تتطلب التكاتف الإسلامي. وإعادة روح الأخوة الإسلامية، بحيث يشعر المسلم في أي مكان أنه جزء من أمة واحدة. ومواجهة حملات تشويه الإسلام ومجابهة التحديات التي تواجه المسلمين وبلادهم بوعي وثقافة، وعدم الانسياق وراء الفتن والانقسامات.

وذلك من خلال تصحيح علاقتنا ب:

الله سبحانه وتعالى

- بتجديد العهد مع الله بالإخلاص والطاعة.
- وتقوية الصلة به عبر العبادة الخاشعة والعمل الصالح.
- واستحضار معاني التوكل والتسليم لحكمه، والثقة في تدبيره.
- ونشر قيم المحبة والتسامح، ونبذ الفرقة والخلاف وإحياء روح التعاون والتكافل، والعمل على بناء مجتمع متماسك، يسوده الانسجام والوحدة
- وتعزيز مبادئ العدل والإحسان في المعاملات.
- والارتقاء بالذات عبر مجاهدة الهوى والتزكية المستمرة.
- والسعي لتطوير القدرات، واستثمار المواهب في ما ينفع الأمة.

- وتحقيق التوازن بين الجسد والروح، وبين الطموح والرضا، لصناعة إنسان فاعل قادر على الإسهام في نهضة أمته.
- كما كان تحويل القبلة رمزاً للوحدة والانطلاقة نحو التمكين، فإننا اليوم بحاجة إلى تحولات واعية، تعيد ترتيب أولوياتنا، وتوحد صفوفنا، ليعود المسلمون كما كانوا: بناة حضارة، وقادة خير، وصنّاع مستقبل.

كيف نوظف عطاءات الله في تحويل القبلة لمواجهة التحديات المعاصرة؟

ما أشبه الليلة بالبارحة

التاريخ ذاكرة الأمم ومستودع تجاربها

التاريخ هو ذاكرة الأمم والشعوب، وهو مستودع تجاربها ومعارفها وخبراتها ومنه نستمد الدروس والعبر، يمتد عبر المكان بعمقه واتساعه، وعبر الزمان باستطالته ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

والمسلم الحق ليس مجرد متفرج على صفحات التاريخ، يقف على هامشه يراقب المد والجزر في مجريات الأحداث، بل هو فاعل مؤثر، ومحرك للأحداث ومؤثر فيها، إنه ذلك الإنسان الذي يمتلك الإرادة والقرار، فيرسم مسار التاريخ، ويدفع عجلاته إلى الأمام، يتعلق بالله، ويأخذ بالأسباب، ويتوكل على رب الأرباب ومن هنا، رأينا عبر العصور رجالاً لم يكونوا مجرد أرقام في صفحات الماضي، بل تركوا بصماتهم العظيمة، وغيروا مسار التاريخ، بل كانوا ميداناً لصياغة المصير، ندعوا الله أن يوفق قائدنا وقادتنا لكل خير، وقوهم بمددك وعونك يا جبار.

عناصر تكوين التاريخ:

١. وحدات زمنية تقدر بالسنين، تُسجّل الأحداث والأحوال والمتغيرات.
 ٢. أحداثٌ كبرى تشكّل معالم التاريخ، تتراوح بين النهضة والانحطاط، والتقدم والتراجع.
 ٣. رجالٌ يصنعون المجد، إذ يكون لكل حدثٍ أبطاله الذين يتخذون مواقف حاسمة، تحدد مصائر الأمم.
- إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بمواقفهم لا تحركهم المصالح العارضة، بل تحركهم عقيدة راسخة، ومبادئ يعيشون بها ولها. وهم مستعدون لبذل الغالي والنفيس، والتضحية بأرواحهم في سبيل الحق، لأنهم يدركون أن التاريخ لا يخلد المترددين، ولا يسجّل أسماء العابرين، بل يُنصف أصحاب العزائم الكبيرة.
- والرجال الذين يصنعون التاريخ بمواقفهم تحركهم عقائد يدينون بها، وتدفعهم إلى قمة القيادة مبادئ يعيشون بها، ولها ومن أجلها (التزام وسلوكا في حياتهم، ويعيشون لها عطاء وتضحيات تصل في كثير من الأحيان إلى حد المخاطرة الجريئة بالنفس والحياة في سبيلها).
- وها نحن في هذا الوقت العصيب نرى مصرنا العظيمة بقيادةها الواعية المؤمنة الحكيمة، تضرب أروع الأمثلة في ثباتها على المبدأ ووقوفها ضد الظلم، وضد الشر، مستعينة بالله على الظالمين.

أكبر عطاءات تحويل القبلة:

لعل من أكبر العطاءات والمنح والهبات التي امتن الله تعالى بها علينا في تحويل القبلة، أنه سبحانه وحّد قبلة المسلمين في كل مكان، من لدن لحظة تحويلها إلى قيام الساعة، وستظل كذلك إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين... والقبلة الواحدة التي وحدها الله ترمز إلى:

وحدة الأمة التي تنبثق منها:

- قوة الأمة
- هوية الأمة
- عزة الأمة
- تكريم الأمة
- بقاء الأمة

- وحدة الرسالة، وحدة الرسول، وحدة الهدف والغاية

وفي ظل التحديات الخطيرة التي تستهدف كيان الأمة، وزعزعة أمنها وأمانها واستقرارها، وفي ظل التهور الحادث الذي حلّ بالعالم مؤخرًا... وبئس ما حل!

يجب علينا أن نستلهم معاني تحويل القبلة ودروسها وقيمها ورمزيتها في وحدتنا وقوتنا من أجل مواجهة الشر... إن لدينا الكثير الذي يجب أن نفعله ونفعله ✓ هل آن الأوان لنصطح مع الله؟

✓ فهل آن الأوان أن نقلب وجوهنا بصدق في السماء كما قلبها رسول الله بأدب وصدق وإخلاص؟

✓ هل آن الأوان لنطبق منهج الله؟

✓ هل آن الأوان لنقتفي أثر النبي (ﷺ) في تعلقه بجمال الله وأخذه بالأسباب؟

إن درسا واحدا من دروس تحويل القبلة (وهو وحدة القبلة) يكفي لتحقيق وحدتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مواجهة اللئام...

فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا. ثم شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ) (٥).

الوحدة والقوة والشجاعة يا عباد الله.. وإلا..

ليتنا نجعل من تحويل القبلة نقطة انطلاق جديدة، لتكاملنا وتعاضدنا وتقدمنا وتوحدنا، لمواجهة التحديات التي تستهدفنا، كما كانت نقطة تحول في تاريخ الإسلام.

وعلى المسلمين أن يحذروا التكاسل والدعة والأنانية والاختلاف... فعن ثوبان (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا، وكرهية الموت) (٦).

إننا في حاجة ماسة وسريعة إلى:

- نبذ الخلاف بين المسلمين
- وإلى الوحدة الشاملة
- وإلى التكافل والتكامل والتعاضد والتساند الكامل
- وإلى الشجاعة والشهامة

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

(٦) أخرجه شعيب الأرنؤوط في تخريج سنن أبي داود - حسن

- وإلى استثمار طاقتنا البشرية، وقدراتنا الاقتصادية
- وتوظيف خيرات الله المكنونة في أراضينا وبحارنا في قوتنا ووحدتنا وتكافلنا، ومواجهة ما يحاك لنا بليل بلأصبح يُحَاك نهارا جهارا!!!.

من رسائل الرحمن إلى المسلمين في كل مكان

قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ . إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيِّ مَعَكُمْ فَتُنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۗ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَلِكَمُ فَدُوهُهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُؤْهِمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۗ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۗ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ . إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (الأنفال: ٩-٢١) .

الرسالة الأولى من الآيات السابقة: أن الله يدعونا نحن المسلمين في شتى أنحاء العالم للتماسط (وقفه واحدة)، الرسالة الثانية: أن النصر لا يكون إلا بيد الله تعالى.

الرسالة الثالثة: أن الاستغاثة بالله فرض عين على كل مسلم، فاستغيثوا بالله؛ يغثكم بمدده وقوته وعونه وتوفيقه وجنوده التي نعلمها والتي لا نعلمها.

الرسالة الرابعة: أن الربط على قلوب قاداتنا بيد الله، وندعو الله أن يربط على قلوبهم ويثبتهم ويقويهم. أيها السادة الدعاة: أشيعوا هذا في مساجدكم وفي صفحاتكم وفي كل مكان...

تأملوا عباد الله في قوله تعالى:

(...أَخْشَوْهُمْ فَلَئِنْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١٣) .

وفي وعده الحق: قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ... (الأنعام: ٦٤) .

فالله وحده هو الذي ينجيكم من المخاوف والشدائد، ويكشف الغم والكروب، ويأخذ بأيدينا إلى بر الأمان. اللهم ردنا إليك ردًا جميلًا، واهد قلوبنا إلى طاعتك، واجعلنا من عبادك المخلصين، يا أرحم الراحمين... اللهم آمين، آمين، آمين.

اعلموا واطمئنوا أن الله حصر في يده:

- الزرق
- النصر
- التوفيق
- المدد
- الحكمة
- البصيرة
- الرشد
- التفهيم
- الإعانة

كل حاجة في يد الله، فاطلبوا من الله بصدق يا عباد الله..

فاللهم وخذ صفوف المسلمين، وأصلح ذات بينهم، واجعلهم قوة واحدة في وجه التحديات، إنك على كل شيء قدير.

إحياء ليلة النصف من شعبان:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) -يعني في أهل الكتاب- (إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على الجمعة التي هدانا الله لها وصلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وصلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين). (أخرجه أحمد). وهكذا ونحن نحتفي بهذه الذكرى المباركة يجب أن نستثمرها بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله، وبالتأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يُكثر في هذه الليلة من الذكر والدعاء والصلاة... وقد ورد في بعض الكتب عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها رأت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساجداً في ليلة النصف من شعبان، حتى ظننت أنه قبض، فاقتربت منه فسمعتة يقول في سجوده: (سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي، يا عظيم اغفر الذنب، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الرب العظيم، وأعوذ بك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، سبحانك جل وجهك وعز جاهك..) فاللهم أعد علينا هذه الذكرى ونحن في غاية القرب من والشوق إليك..

كرامة الإمام الليث بن سعد... وليلة النصف من شعبان

وُلد الإمام المجدد المصري الليث بن سعد (رضي الله عنه)، وهو نجل الحضارتين المصرية والإسلامية في ليلة النصف من شعبان عام ٩٤ هـ وتفاءل أهل الوليد بمقدمه في تلك الليلة، نشأ في قرية قلقشندة مركز طوخ محافظة القليوبية، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يموت في ليلة النصف من شعبان سنة ١٧٥ هـ... ولعلها كرامة من الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل العظيم، أحد فقهاء الأمة الكبار ومجديها ومحدثيها، الذين أسهموا في ثراء الفكر الديني، وإثرائه وتجديده، الذي شرب من معين القرآن العظيم، ونهل من مشكاوات السنة النبي وسيرته، فكان أتمودجا في العلم والحلم والحكمة والنبيل والسخاء والرحمة، والعطاء فقد علم الإنسانية معنى الإنسانية

قال عنه الإمام الشافعي: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وفي رواية له «...إلا أن قومه ضيعوه» أي: لم يؤدوا حقه بتدوين علمه، ونشره للناس.

الإمام الليث بن سعد هو مفتي الديار المصرية، كان (رضي الله عنه) "مليارديرًا" بالمقاييس المالية المعاصرة، فقد كان يمتلك أراضي شاسعة، في القليوبية والجيزة وبور سعيد ورشيد. وكان "الإمام الملياردير" كريمًا على نحوٍ مثير، حتى إن عددًا من المؤرخين يؤكدون أنه لم تجب عليه زكاة قط.. ذلك أنه كان يتصدق بكل ما يدر عليه من أموال وخيرات حتى لا يصل أبدًا إلى مرحلة بلوغ النَّصَاب الذي يمر عليه العام، الذي يُوجب الزكاة.

وقال أشهب بن عبد العزيز: «كان لبيث أربعة مجالس كل يوم: مجلس حوائج السلطان (يريد ما يستشير فيه الأمير من أمور الدولة)، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل (يريد الفتوى في الحلال والحرام)، ومجلس لحوائج الناس». وله فضل كبير على تاريخ مصر، فتروى عنه الأخبار الكثيرة في فتح مصر ورجائها وشؤونها. (٧)

صلته للإمام مالك:

يقول ابن وهب: «كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار -من الذهب- في كل سنة، فكتب مالك إليه: أن عليه دينًا فبعث إليه بخمسمائة دينار».

يقول أبو صالح كاتب الليث: كنا على باب مالك بن أنس (رضي الله عنه) -وطرقوا بابه- فامتنع -أي: احتجب، فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا.

قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟

قلنا: الليث بن سعد.

قال: تشبهوني برجل كتبتُ إليه في قليل عصفور نصبغ به ثياب صبيانا، فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صبيانا، وثياب جيراننا، وبنا الفضل بألف دينار!!.

ويقول قتيبة بن سعيد: سمعت شعيب بن الليث يقول: «خرجت مع أبي حاجًا، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردّه إليه» (٨).

وكان الليث (رضي الله عنه) يُعين على نوائب الدهر ومصائبه، «ولما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار» (٩)؛ ليساعد على شراء الكتب التي تلزمه لمواصلة البحث والدرس..

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابناً لي عليلاً، واشتتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مرطاً (١٠) من عسل، وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلاً، إنها تطلب قليلاً من العسل، فقال الليث: إنها طلبت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط (١١).

لقد كان الليث - رحمه الله - مثالا يُحتذى به في الخلق النبيل.. كان لين الجانب.. رقيق النفس.. رضي الخلق، وكان مقصد ذوي الحاجة، لا حجاب بينه وبينهم، وكان رقيق القلب، عطوفاً على الناس، رحيمًا بهم، لا يألو

(٧) انظر: أحمد علي سليمان: كتاب الإمام المجدد الليث بن سعد الفقيه والمحدث والإنسان، القاهرة: دار زحمة كُتاب، ٢٠٢٣م

(٨) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٥٩٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي. ط بيروت ج١ ص٢٢٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص٢٥٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص٨-٩.

(٩) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥، صفة الصفوة ج٢ ص٢٤٧٣، ومختصر تاريخ دمشق ج٢١ ص٢٥٣.

(١٠) والمرط عشرون ومائة رطل.

(١١) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥.

جهداً في التوسعة عليهم والرفق بهم

ويشاء الله (تعالى) أن يتوفى الليث في ذات الليلة المكرمة.. ليلة النصف من شعبان سنة مائة وخمس وسبعين للهجرة (١٧٥هـ) بعد أن ملأ الدنيا من حوله بالخير، والعلم، والمعرفة، وآداب السلوك، وأسباب المحبة، على مدى اثنين وثمانين عاماً في مكافأة من الله تعالى لهذا الرجل العظيم

أيها الأخوة المؤمنون: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأماني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد،

خطر الشائعات ومراحلها وكيف أبدء الإسلام في مواجهتها (١)

جاء الإسلام من أجل إصلاح الكون والحياة والإنسان؛ لذلك اشتملت تشريعاته على منهج كامل لإدارة الحياة، يركز على مقومات عقائدية وأخلاقية وتشريعية مرنة تضمن له البقاء والصلاحية لكل زمان ومكان.. ومن ضمن هذا المنهج فلسفة مواجهة الشائعات.

ماهية الشائعة:

الشائعة عبارة عن خبر أو قصة أو معلومة غير مؤكدة أو كاذبة أو صادقة مُبالغ فيها يُصدرها جاهل أو عدو أو صاحب مصلحة، ويعمل على حيكتها بصورة تكتنفها بعض الغموض والإثارة، من أجل أن تنتشر خصوصاً في الأزمات والمشكلات أو بين أناس بينهم قواسم أو مصالح مشتركة.

خطورتها على الفرد والمجتمع:

والشائعات خطر داهم إذا أطلقت سرت في جنبات المجتمع بصورة ناعمة وخبيثة، فتهدد المجتمعات الآمنة، ولا يقل خطرها عن مخاطر الحروب بالجيوش النظامية بأسلحتها المدمرة وآلياتها الحشنة. ونحذر من خطورة الشائعات على الفرد والمجتمع، فكم أبكت الشائعات عيوناً، وكم أدمت قلوباً، وكم أوغرت صدوراً، وكم زرعت الفتن، وكم فرقت بين الأحبة، وكم غرست الشقاق بين الأصدقاء، وكم طلقت زوجات ورملت أطفالاً، وكم أعاقت راب الصدع واندمال الجروح، وكم غيبت عقولا وأضاعمت مصالح البلاد والعباد، وكم نشرت الحزن، وكم نشرت الخوف من المستقبل ومن المجهول، وكم حطمت معنويات، وتسببت في هزائم أمم، وكم أضاعمت حقوقاً وخلقت ظالمين ومظلومين؟!..

مراحل الشائعة وطرق انتشارها، وكيف يتم التعاطي معها:

وقر الشائعات بعدة مراحل: تبدأ بمرحلة البث والنشر الأولي، ثم تمر مرحلة التلقي، وتأتي مرحلة خطرة وهي مرحلة التحريف والتنميق بالزيادة والنقصان والتهويل والمبالغة الفجة في عمليات التحريف.. وهنا ينشط المعرضون وأعداء الوطن، ليطم إعادة نشرها وعلى نطاق واسع من جديد..

ويساعد على نجاح ولادة الشائعات وانتشارها: الأزمات والظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بالمجتمعات، والمصالح المشتركة، والغموض، وأيضا التدرج وانتهاز بعض السوانح والتنسيق الإعلامي بين المعرضين، ويساعد على الانتشار السريع وسائل الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي.

وإزاء هذه الشائعات تم التعاطي معها وتلقيها ب: إما بالتلقي العاطفي وذلك يتم في محيط الفئات الأقل ثقافة أو البسطاء وغيرهم، أو التلقي المحايد من بعض الفئات، أو التلقي النقدي لهذه الشائعة وتفنيدها، والرد عليها..

كيف أبدأ الإسلام في مواجهة الشائعات ووأدها:

إن المنهج الإسلامي في معالجة هذه القضية الخطرة كان واضحا ومتميزا، حيث يركز على عدة أسس، وهي: أولا: أنه حرص على وأد الشائعات وغيرها من البداية وذلك بتحريم الكذب -وأخواته- تحريماً جازماً، واشتد نكير الشارع الحكيم في ذلك.

ثانيا: أنه دعا إلى التبين والثبت والتحقق عند نقل الخبر، وتحري الدقة المطلقة، بحيث يكون مطابقاً لصدقية الواقع، وواضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار.

ثالثا: أنه أعطى أهل الذكر - كل في مجاله - مكانةً وتشريفاً، قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، فأهل الذكر في الطب هم الأطباء، وأهل الذكر الهندسة هم المهندسون، وأهل الذكر في الزراعة هم المزارعون... وهكذا.

رابعا: أنه جعل مروجي الإشاعات من الفاسقين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ).

خامسا: أنه دعى إلى الستر، وكره فضح الناس.

سادسا: أنه حذر من مغبة العواقب الوخيمة جراء نشر الشائعات على الفرد والأسرة والمجتمع بل والإنسانية. وعلى الرغم من أن العصر الذي بُعث فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) وما تلاه كان يسيراً ويتميز ببطء الوتيرة، فإن الإسلام كان سباقاً في استقراء المستقبل بتطوره السريع؛ لذلك جاءت تحذيرات القرآن والسنة من خطورة الشائعات من القوة بمكان؛ كما جاءت مواكبة لعصرنا الحالي وما سيأتي من عصور بمعطياتها في التطور السريع جداً.

لذلك فإنني أرى أن إنسان هذا العصر الذي نعيشه بما يمتلكه من إمكانيات تكنولوجية واتصالية واسعة الانتشار، عليه عبء متضاعف في قضية التحري والتحقق والثبت من الخبر أو المعلومة قبل نشرها؛ لأن الشخص أضحي بإمكانه بضغط زر واحدة أن ينشر شيئاً على نطاق واسع جداً، وفي الوقت نفسه لا يستطيع السيطرة عليه أو محوه من سجلات الشبكة العنكبوتية أو محركات بحثها أو خوارزمها المترابطة والمتشعبة بعد ذلك.

واجبات المؤسسات المعنية في وأد الشائعات:

لذلك يجب على جميع مؤسسات تشكيل الوعي والسلوك (التربية والإعلام والثقافة والأئمة والدعاة) أن تتكاتف أن أجل تربية النشء والشباب على ثقافة مواجهة الشائعات وتفنيدها من خلال إتاحة المعلومات الرسمية

بصورة ميسرة وشفافة، وتكوين التفكير النقدي لدى النشء، والتربية على تشابك القيم، خصوصاً قيم الصدق، وتحري الدقة، والقناعة، ومواجهة الغموض وتوضيح الأمور المشككة، ومواجهة الجهل؛ لأن الشائعات لا يكتب لها الحياة في البيئات المستنيرة.. كما يجب على الدول أن تتيح لمواطنيها، المعلومات السليمة الموثقة بشفافية وبوضوح، وفي أوعية نشر إلكترونية ميسرة بحيث تُمكن الشخص من الوصول إليها وتدقيقها وتمحيصها ونقدها ومن ثم مواجهة الشائعات.

هيا بنا نجدد التوبة والأوبة لله رب العالمين

تبنا إليك، ورجعنا إليك، وندمنا على ذنوبنا، فاغفر لنا يا غفور، وارحمنا يا رحيم، واقبل توبتنا يا تواب. يا رب، أخطأنا كثيراً، وأذنبنا مراراً، لكن بابك مفتوح، ورحمتك واسعة، فاغفر لنا ما مضى، ووقفنا لما تحب وترضى. اللهم طهر قلوبنا من الذنوب والنفاق، وأرواحنا من الغفلة، وردنا إليك ردّاً جميلاً، واجعل توبتنا نصوحاً لا نعود بعدها إلى المعاصي أبداً.

يا الله، إن لم تغفر لنا فمن يغفر؟ وإن لم ترحمنا فمن يرحم؟ إن لم تحمنا وتحمي بلادنا من الأشرار فمن يحمنا يا يالله...
يا رب لا تردنا خائبين، ولا تبعدنا عن رحمتك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

اللهم ارزقنا حسن الخاتمة، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وتقبلنا في عبادك التائبين الصادقين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أدعو الله التقدير الرحيم الحنان المنان أن يشرح صدوركم ويكثر خيركم ويبارك في ذرياتكم ويجعلكم خيراً وسعداً وسعادة ونوراً يسير على الأرض

نسأل الله السلامة لنا ولأولادنا، ولجتمعننا ولشعبنا.. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كتّاب مصر

واتس أب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman@gmail.com

يرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ **لمتابعة كل جديد**

<https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/>